

وجه الفساد الجميل



عبدالعزيز المزهري

حين غرفت المدن كما تفعل كل عام – وكما ستفعل في الأعوام القادمة – كان خطاب الناس انفعالياً غاضباً وحاقداً على الفساد والمفسدين، وهذا يحدث لأن الناس العاديين الذين لا يعطون كل أمر حقه من التدبر والتأمل والتفكير العميق يكونون عاطفيين ومتسرعين مما يجعلهم يبدون حمقى في آخر المطاف حين تتجلى الحقائق.

كثيرون نظروا إلى نصف النفق الممتهن ولم يتأملوا النصف الفارغ من النفق، والنصف الممتهن من النفق يقول إن هذه الأحداث السنوية هي إحدى أبرز الدلائل على سوء الفساد وأنه العدو الأول للتنمية والمعطل الحقيقي لكل الأحلام ببغداد أفضل.

أما النصف الجميل والفارغ من النفق فيشير إلى العكس تماماً، فالفساد محرك رائع للتنمية والاقتصاد وهذه حقيقة الأمر التي لا يراها العامة والدهماء.

تخيلوا أن الأمطار العادية التي زارت الأرض في الأسبوع الماضي وجدت أن أهل الأرض مهدوا لها ممرات وموابر ومضت في حالها دون أن تتوقف في الأنفاق وتتسدل إلى أحواش الأمانات والبلديات ودون أن يغضبها وجود مدن تعترض مسارها الذي حدده لنفسها قبل أن تغادر السماء.

وبغض النظر عن الملل الذي سيحدث لو أن الأمطار تأتي وتذهب دون أن تؤذي الناس ويؤذنها، فإن الأمر الأهم هو الحراك الاقتصادي الجميل الذي لم يكن ليحدث لو غاب الفساد. فقد كانت الورش والمقاولون وشركات التنظيف و محلات قطع الغيار ومواد البناء وكثير من القطاعات تعمل بكل طاقتها.

كان الفساد رائعا حتى على المستوى الكوميدي، ولعل أبرز الظرفاء في أحداث الأسبوع الماضي هي أمانة المنطقة الشرقية التي قالت إن كمية الأمطار التي هطلت على المنطقة الشرقية خلال 24 ساعة تعادل حالة مطالية لحدود عام ونصف.

ورغم طرافه هذا التصريح إلا إنه تشویه للفساد فالسبب الحقيقي الذي لم يكن يجعل مياه الأمطار تتجمع في الأنفاق في المنطقة الشرقية هو عدم وجود الأنفاق. ومنذ أن أنشئت الأنفاق في الدمام وهي تمتلك بالمياه حتى دون وجود المطر.

وعلى أي حال..

لعلنا نؤسس لثورة عالمية في الاستثمار في الفساد وتسيقه، ولن تقل أهمية في حياة الشعوب عن الثورة الصناعية الكبرى.